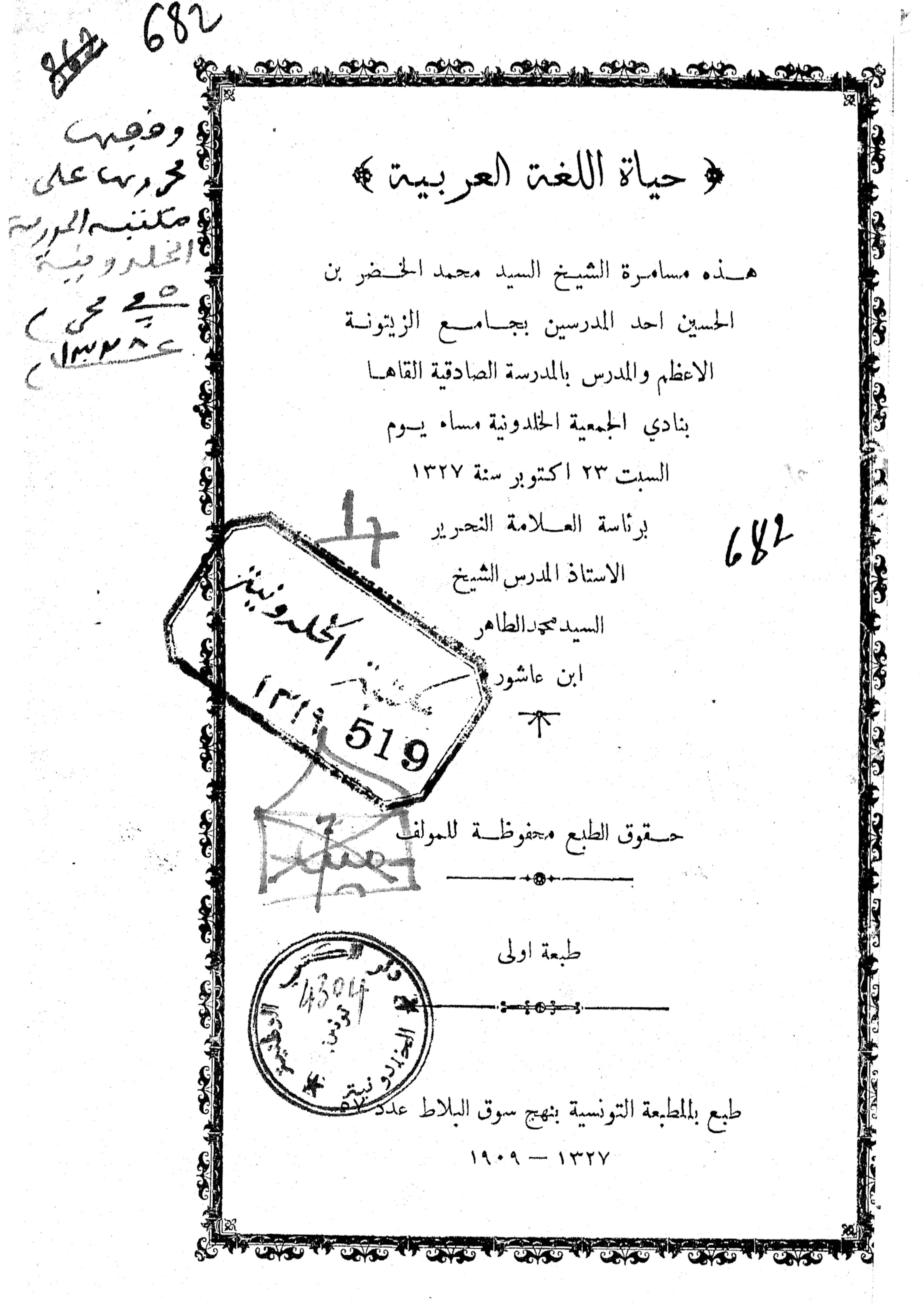


﴿ حياة اللغة العربية ﴾

هذه مسامرة الشيخ السيد محمد الخضر بن الحسين احد المدرسين بجامع الزيتونة الاعظم والمدرس بالمدرسة الصادقية القاها بنادي الجمعية الخلدونية مساء يوم السبت ٢٣ اكتوبر سنة ١٣٢٧

برئاسة العلامة النحرير الاستاذ المدرس الشيخ السيد محمد الطاهر ابن عاشور

طبعة اولى

طبع بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧

١٣٢٧ — ١٩٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى فاوت بين الالسنة في مراتب البيان والتبيين • والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بلسان عربي مبين • ثم الرضا عن آل بيته الطاهرين • واصحابه الانصار والمهاجرين •

ايها الملا الكرام

هل اتاكم نبأ فريق من اعيان الادباء واعضاء هذه الجمعية جمعية الخلدونية اذ اخذتهم الغيرة على ما للغة العربية من الوضع المحكم والاساليب المؤثرة فأجمعوا امرهم على السعي في ترقية شانها باقرب الوسائل ومواصلة البحث عن اسرار فصاحتها ومن مآثر هذه الهمة ان خاطبني مجلس ادارتهم السامية بكتاب يقترح علي القيام بمسامرة في بيان شرف هذه اللغة ودلائل حياتها فضربوا لي معهم بسهم من ذلك الاهتمام وما لبثت ان تلقيت دعوتهم بالاجابة

حررت ما سنناجيكم به في هذا المقام واتيت في خلال تحريره على شبه اوحي بها الى بعض المسامرين فالتبس عليه حال اللغة من جهة

حياتها ولئن اشهدناه دم الحياة كيف يجري في عروقها وتلونا عليه من دلائل فصاحتها ما لا يستطيع انكاره فانا نعترف له بمزية البحث واعمال الفكر لاننا امة بحث ونظر لا امة تقليد وضغط على الافكار

ولا اظهر في هذا الموقف بدعوى المفاضلة بينها وبين لغات اخرى ثم اقضي لها بالمزية والسباق فان شرف منزلتها وقرار حياتها لا يتوقف في بيانه على الموازنة بينها وبين ما عداها من اللغات

ولا ادعى فيما اسوقه من شواهد حسنها ان جميعه خاصة لها لا يشاركها فيه لسان فاذا اوردنا في سلكها فضيلة يمهدها بعض الحاضرين من لغة اخرى فلا يناج نفسه بانا خرجنا عن سبيل الغرض والقصد من الاستشهاد اذ يكفينا داعيا الى الذود عن حياضها وناهضا بالهمم الى الاحتفاظ بها ان غيرها من الالسنة لا يفوقها بفن من فنون البيان

فالغرض انما هو البحث عن حال اللغة في حد نفسها من جهة اطوارها ومحكم وضعها واتساع نطاقها وارتقائها مع المدنية وما يشاكل ذلك واليكم حديثها

لا يشتبه على ذي نظر قيم ان الالفاظ وان حسن تاليفها وتناسبت اوضاعها وامتدت الى غير نهاية لا تزيد فائدتها عن ضبط الغرض القائم في النفس وتمييزه عما سواه ولا تكاد تؤدي الصور والمعاني وتنقشها في نفس السامع بحالتها المرسومة عليها في ذهن المخبر بها فاذا شاهد الرجل حادثة او ادرك بحاسة وجدانه معنى واراد حكايته وافراغه بمثاله الحقيقي في ذهن السامع حتى يصير ادراك المخاطب

للمحكي مطابقا لادراك الحاكي مطابقة النعل للنعل لم يجد لذلك لسانا كافيا

ولا يستطيع انسان وان ملك الفصاحة تحت طي لسانه ان يصف لك ذات شيء ابصره فتتصوره على وجه يطابق صورته اذا رايته راي العين فيضطر الى ان يفحص بخاطره فيما سبقت لك به معرفة من الموجودات لياخذ لك مثالا تتعرف فيه احوالا للموصوف لا تفي العبارة بتشخيصها ومن ثمة انفتح باب التشبيه والتمثيل ولم يستغن الفصحاء بعباراتهم الصريحة ان يقرنوها بضروب من اشارة اليد ونحوها

واذا كان الحاذق في صناعة التصوير لا يمكنه ان يرسم للشيء مثالا يحكيه لك بجميع خواصه ويغنيك عن مشاهدته فكذلك مؤلف الالفاظ لان التعبير بها نوع من التصوير والمحاكاة قال الشيخ بن سينا في كتاب الشفا ان النفوس تنشط وتلتذ بالمحاكاة فيكون ذلك سببا لان يقع عندها للامر فضل موقع والدليل على فرحهم بالمحاكاة انهم يسرون بتامل الصور المنقوشة للحيوانات الكريهة المنظر المتقزز منها ولو شاهدوها انفسها لنفرت انفسهم عنها فيكون الفرح ليس بنفس تلك الصورة ولا المنقوش بل كونها محاكاة لغيرها اذا كانت قد اتقنت ولهذا السبب ما صار التعليم لذيذا الى الفلاسفة فقط بل الى الجمهور لما في التعليم من المحاكاة لان التعليم تصوير ما للامر في رقعة النفس.

واذا كان التعبير بالالفاظ من قبيل التصوير ونقش المثال فالصورة التي يمثلها الصانع بمقدار جمعها لخواص الممثل وعلى حسب جودة

اصباغها وتناسب اوضاعها تلذها العيون ويرتاح الطبع عند النظر اليها كذلك العبارة على قدر ما تسع من المعاني وتحتوي عليه من الالفاظ السائغة وحسن الائتلاف في التركيب تطرب لها الاسماع وتستعذبها الاذواق . ومن هذه الجهة يدخل العادلون الى الحكم والتفضيل بين العبارات واللغات فما كان اوسع دائرة في تصوير الغرض وارشق في مبانيه واحكم في نسيجه كان احق بالشرف واحرز للسباق

تاثير اللغة في الهياة الاجتماعية

مما لا سبيل للشبهة فيه ان الشخص الذي يحل بين اقوام يجهل لغتهم يبقى منفردا عن جامعتهم غير معدود في زمرتهم وتتوعر امامه الطرق الموصلة الى انخراطه في سلكهم وتبادل المنافع معهم فاذا تعلم من لسانهم ما يطلع به على آدابهم وعوائدهم ومعارفهم انعقدت بينه وبينهم صلة التعارف والمعاشرة واصبح عضوا متصلا بهم عاملا في هياة مجتمعهم . هذا ما ينشؤ عن مجرد حفظ اللغة فاذا ادرك من تلك اللغة فصاحة ورونقا وراى تلك الآداب والعوائد والمعارف قائمة على اساس الحكمة واستحسان العقل الصحيح ترقى فوق ذلك الى مكان التقرب منهم بفؤاده والتحم معهم بجامع التحابب التحام الانامل بالراحة

وربما ينتقل الانسان الى بلد لا يعرف لغة اهلها فيوقعه سوء التفاهم مع اولي القوة منها في خطر لا يجد للخلاص منه طريقا . روي ان زيد بن عبد الله بن دارم الحجازي دخل على ملك حمير في مدينة ظفار وهو جالس على مكان مرتفع فقال له الملك ثب اي اجلس في لسان

حمير ومعناها في لسان اهل الحجاز اقفز ففهمها الاعرابي على مقتضى لغته وقفز فتكسر واندقت رجلاه فسال الملك عنه فاخبر بلغة اهل الحجاز فقال ليس عندنا عربيت (١) من دخل ظفار حمر وفي رواية اما علم ان من دخل ظفار حمراى تعلم اللغة الحميرية • ولا نفهم من هذا ان استحسان تعلم الوارد على البلد لغة اهلها يختص بالضعيف الذي لا يستطيع الدفاع عن حقوقه بل اذا كانت القوة والسلطة للوافد عليهم تاكد في حقه ايضا بموجب فضيلة العدل ان يتعلم من لغة المحكومين لئلا يفضى به سوء التفاهم معهم الى خطيئة ظلمهم والقضاء عليهم بغير ما يستحقون

والتوافق في اللغة مما يزيد العلائق التي تؤلف الناس في نظم الاتحاد قوة ووثوقا ولهذا ترى الداعي الى الوحدة الوطنية يسعى في تعليم لغة الوطن وتعميم نشرها حتى تكون هي اللغة الجارية في خطاباتهم وتحريراتهم على وجه الصحة لا يعدلون الى التفاهم بغيرها الا عند الحاجة ومتى اهملت الامة لغتها وزهدت في تعلمها انفصمت عرى جامعتها لا محالة وتفرقوا ايدي سبا فاذا قام مناد يدعو امة الى نبذ لغتها وان تستبدل بها لغة اخرى فانما يريد انقسام وحدتها واخراجها من صبغة جنسها

ولن تتقدم امة في معارج النهضة والرقي الا بوسيلة لغتها وعلى قدر ما تحتفظ بلغتها ترتقي في حياتها الادبية فمثل اللغة مع حال الامة كالمثاقيل

(١) اراد عربية لكنه وقف على هاء التانيث بالتاء وكذلك لغتهم

التي توضع في مقابلة الموزون فبحساب ما ينقص من اللغة ينزل ما يقابلها من حال الامة الى درك الشقاء اذ لا يؤثر على احساسهم في تذكيرهم بمجد الاباء او يهيج بعواطفهم الى الاتحاد والاخذ بوسائل السعادة غير لغتهم الراقية واعتبر في ذلك ببلاد الاندلس فان من اسباب سقوطها ونزع ايدي المسلمين من ولايتها ضعف اللغة العربية عندهم ومسخ صورتها بما خالطها من الكلمات والاساليب التي لا تطابق وضعها ولا تحتملها طبيعتها

﴿ اطوار اللغة العربية ﴾

لم يات الباحثون عن مبدا اللغة في ادلتهم بما تطمئن اليه النفوس ويحل منها محل القطع او الظن القريب منه على ان اختلافهم في تعيين الواضع هل هو الله تعلى او البشر مما لا تترتب عليه فائدة في العمل تقتضي العناية بترجيح احد المذهبين ومن ثم صحح المحققون ان ادخال هذه المسالة في علم الاصول من الفضول وزعم بعضهم ان قلب الالفاظ التي يؤدي تغييرها الى فساد في احكام الشريعة كتسمية الثوب فرسا والفرس ثوبا يرجع حكمه الى اصل ذلك الخلاف فيمتنع القلب على القول بان اللغة كلها وقعت بتعليم من الله ويجوز على القول بانها وضعت باصطلاح البشر وليس هذا البناء بمستقيم فان مجرد اسناد الوضع الى الله تعلى وان ثبت بالحجة القاطعة لا يقتضى الوقوف عند حد ما ورد منه والامساك عن تغييره باصطلاح جديد

واقصى ما ثبت في التاريخ ان هذه اللغة كانت في قبائل من ولد سام

ابن نوح عليه السلام وهم عاد وثمود وجرهم الاولى ووبار وغيرها وقد انقرضت اجيال هؤلاء الا بقايا متفرقين في القبائل ولا يصح شيء مما يروى عنهم من الشعر وقد انكر العارفون على من كتب في السيرة اشعارا كثيرة ونسبها الى عاد وثمود ٠ ثم انتقلت الى بني قحطان وكانوا يتكلمون باللسان الكلداني لسان اهل العراق الاصليين واول من انعدل لسانه الى العربية يعرب بن قحطان وبعد ان نشأت منها الحميرية لغة اهل اليمن انتقلت الى اولاد اسماعيل عليه السلام بالحجاز ولم تكن لغة اسماعيل عربية بل كان عبرانيا على لسان ابيه ابراهيم عليه السلام ثم انخرط في شعوب العرب بمجاورتهم ومصاهرته لجرهم الثانية حين نزل بمكة فنطق بلسانهم وورثه عنه اولاده فاخذوا يصوغون الكلام بعضه من بعض ويضعون الاسماء بحسب ما يحدث من المعاني الى ان ظهرت اللغة في كامل حسنها وبيانها وصار لها شان عظيم وتاثير بليغ

ويدلك على عنايتهم بامر الفصاحة ما وصل الينا من نتائج افكارهم وبدائع خطبهم وقصائدهم في سوق عكاظ وسوق مجنة اذ يفدون عليهما في موسم الحج ويقيمون في عكاظ ثلاثين يوما وفي مجنة سبعة ايام يتناشدون ما وضعوه من الشعر ويتفاخرون بجودة صناعة الكلام وعند احتفالهم يضربون قبة للشاعر العظيم في وقته كالنابغة الذبياني ويعرضون عليه منتخبات اشعارهم وكان بعضهم يهدد بعضا بنظم الهجاء وتسييره في ذينك الموضعين قال امية ابن خلف يهدد حسان رضي الله عنه

الا من مبلغ حسان عني * مغلغلة تدب الى عكاظ

وقال حسان في جوابه

اتاني عن امية زور قول * وما هو في المغيب بذي حفاظ
سانشر ان بقيت له كلاما * ينشر في المجنة مع عكاظ

ومن شواهد هذا ان الحارث بن حلزة اليشكري كان شاعرا حكيما ولكنه ابتلي بوضح (برص) ومن اجله كان عمرو بن هند ملك الحيرة يكره النظر اليه ويابى ان يستمع الى خطابه الا من وراء ستار فدخل عليه يوما وانشد بين يديه قصيدته المعدودة في المعلقات

اذنتنا ببينها اسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

وتعرض فيها الى شيء من الصلح بين بكر وتغلب فبهرت عمرا روائع نظمها واستولت على لبه بسحر بيانها فاخذته هزة وارتياح ولم يتمالك ان امر برفع الستار ما بينهما

واقتضت عناية العرب لذلك العهد بالابداع في القول والتنافس في مقام الفصاحة ان ظهرت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاغة ما انزل عليه من القرآن كما جاء عيسى عليه السلام يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله لما ارسل الى قوم توفرت عندهم العناية بعلم الطب وكما بعث موسى عليه السلام الى امة انتهى السحر فيها الى غاية فاتاهم في مقام المعجزة بابدع ما يكون في قلب الاعيان واراءتها في غير سيرتها الاولى

ثم ارتقت اللغة في صدر الاسلام الى طورها الاعلى ودخلت في اهم

دور يحق علينا ان نسميه عصر شبابها فنمت عروقها واثمرت غصونهـا
بالوان مختلفة من الاساليب

ومن مآثر هذه الحياة الراقية ان كان كلام الناشئين في الاسلام من
العرب احلى نسقا واصفى ديباجة من كلام الجاهلية في شعرهم وخطبهم
ومحاوراتهم

والاسباب التي ارتقت بها اللغة حتى بلغت اشدها واخذت زخرفهـا
امور ثلاثة . احدها ما جاء به القرآن الحكيم من صورة النظم البديع
والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول فـانه جرى في
اسلوبه على منهاج يخالف الاساليب المعتادة للفصحاء قاطبة وان لم
يخرج عما تقتضيه قوانين اللغة واتفق كبراؤهم على اصابته في وضع
كل كلمة وحرف موضعه اللائق به وان تفاضل الناس في الاحساس
بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة الذوق وجودة القريحة

ومن النحاة من يحكم على بعض استعمالات يرد عليها القرآن بعـدم
القياس عليها كما قصروا حذف حرف المصدر ورفع المضارع بعده
على السماع بعد ان اوردوا في مثاله قوله تعلى ومن آياته يريكم البرق
خوفا وطمعا الآية ولا ادري كيف يتفق لهم هذا مع علمهم بانه صاحب
البلاغة التي ليس وراءها مطلع وانا لنعلم قولهم فى اصول العربية ان
ما قل في السماع ان كان مقبولا في القياس صح القيـاس عليه وان
وجد ما يعارضه في القياس يوقف على السماع . فنسلم لهم اجراء هذه
القاعدة في كلام العرب لاحتمال ان تزيغ السنتهم عن القصد

فيحرفون الكلمة عن اصـل استعمالها غلطا ولا نسلم لهم تحكيمها في
كتاب الله الذي اخرس بفصاحته لسان كل منطيق

ثانيها مـا تفجر في اقـوال الرسول صلى الله عليه وسلم من ينابيع
الفصاحة وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة والابانة عن الغرض بدون
تكلف روى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لقد طفت في
احياء العرب فما رايت احدا افصح منك يا رسول الله قال وما يمنعني
وانا قـرشي وارضعت في بني سعد وبنو سعد افصح قبيلة في العرب
بعد قريش

وانما اغضى علماء اللسان النظر عن الاستشهاد بالحديث لان رواته لم
يجمعوا عنايتهم على ضبط الفاظه كما كانوا يتثبتون في نقله على المعنى
ولو تحقق اهـل العربية من رواية حديث بلفظه كالاحاديث المنقولة
لاستشهـاد على فصاحته صلى الله عليه وسلم لاستندوا اليه في وضع
احكامها يقينا

ثالثهـا مـا افاضه الاسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من
العلوم السامية وبما نتج عن تعارف الشعوب والقبائل والتئام بعضها
ببعض من الافكار ومطارحة الاراء ومعلوم ان اتساع العقول وامتلاءها
بالمعارف مما يرقي مداركها ويزيد في تهذيب الفتها فتقذف بالمعاني
المبتكرة وتبرزها في اساليب مستحدثة فان كثرة المعاني ودقتها تبعث
على التفنن فى العبارة والتانق في سياقها ويوضح لكم هذا ان الناشئين
في الحواضر نجدهم في الغالب اوسع غاية في اجتلاب المعاني الفائقة

واهدى الى العبارات الحسنة ممن يعادلهم في جودة القريحة وفصاحة المنطق بفطرته لاشتغال المدن على معان شتى ينتزع الذهن منها هيآت غريبة لا طريق لتصورها الا المشاهدة

ولما فارق العرب الحجاز لابلاغ دعوة الاسلام وبث تعاليمه بين الامم اقتضت مخالطتهم لمن لا يحسن لغتهم ضعف ملكاتها على السنتهم ودخول التغيير عليها في مبانيها واساليبها وحركات اعرابها وابتدا التحريف يسري الى اللغة في عهد الخليفة الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاشار على ابي الاسود الدؤلي بوضع علم النحو ولم يزل ايمة العربية يحوطونها باستنباط القواعد حتى ضربوا عليها بسياج يقيها عادية الفساد ويحول بينها وبين غوائل الضياع والاضمحلال وحين انتشرت المخالطة وتفشى داء اللحن امسك العلماء عن الاستشهاد بكلام معاصريهم من العرب ويعدون اول المحدثين الذين لا يستشهد باقوالهم بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧ واحتج سيبويه بشيء من شعر بشار بدون اعتماد عليه وانما اراد مصانعته وكف اذيته حيث هجاه لتركه الاحتجاج بشعره كما استشهد ابو علي الفارسي في كتاب الايضاح بقول ابي تمام

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الاماني لم يزل مهزولا

وليس من عادتهم الاستشهاد بشعر ابي تمام لان عضد الدولة كان يعجب بهذا البيت وينشده كثيرا

واستشهد صاحب الكشاف عند قوله تعالى (واذا اظلم عليهم قاموا)

ببيت من شعر ابي تمام وقال وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . فيؤخذ من صريحه انه يرى صحة الاحتجاج بكلام المحدث اذا كان من ايمة اللغة وليس مذهبه هذا بسديد وقياس ما يقوله ابو تمام على ما يرويه غير صحيح فان التكلم بالعربية الصحيحة لعهد ابي تمام ناشىء عن ملكة تستفاد من تعلم صناعتها ومدارسة قوانينها فعلى فرض ان لا تفوته معرفة بعضها قد يذهل عن ملاحظة تلك القوانين فلا يامن ان يزل به لسانه في خطا مبين وابو تمام نفسه صدرت عنه ابيات كثيرة خرج فيها عن مقاييس العربية قال ابن الاثير لم اجد احدا من الشعراء المفلقين سلم من اغلاط فاما ان يكون لحن لحنا يدل على جهله بمواقع الاعراب واما ان يكون اخطا في تصريف الكلمة ولا اعني بالشعراء من هو قريب عهد بزماننا بل اعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله كالبحتري ومن تقدمه كابي تمام ومن سبقه كابي نواس

اما العربي القح فانه يطلق العبارة بدون كلفة في اختيار الفاظها او ترتيب وضعها فتقع صحيحة في مبانيها مستقيمة في اعرابها ولا يكاد يلحن في اعراب كلمة او يزيلها عن موضعها اذا ترك لسانه وسجيته ومن ثم كان قرض الشعر كالخطابة على الارتجال والبديهة شائعا عند العرب نادرا في عصر المولدين ولا يعترض هذا بان كثيرا من العرب يطيل المدة في عمل القصيدة كما فعل زهير في حولياته لانه يستوفيها في امد

قريب ويتمها على شرط الصحة ولكنه لا يخرجها للناس اذا فرغ من عملها الا بعد التروي واعادة النظر في تقويم معانيها وحسن النسق في بنائها واحكام قوافيها لا ليخلصها من اللحن ويطبق عليها اصول العربية كما هو شان المحدثين

ثم نشا بجانب هذا التحريف الذى طرا على اللغة مرض آخر انجر اليها بسبب من اسباب حسنها هو ان مسلم بن الوليد وابا تمام امعنا النظر في اشعار الفصحاء وخطبهم وحسروا اللثام عن وجه بيانها فابصروا فيها محاسن من فنون البديع كالاستعارة والجناس والتورية فشغفوا بها وثابروا على ايرادها في منظوماتهم توفيرا لحسنها واستزادة من التانق فيها فكان الناس يقولون ان اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وسمع اعرابي قصيدة ابي تمام التي يقول في طالعها

طلل الجميع اراك غير حميد

فقال ان في هذه القصيدة اشيا افهمها واشياء لا افهمها فاما ان يكون قائلها اشعر من جميع الناس واما ان يكون جميع الناس اشعر منه . وما تعاصى فهمها على الاعرابي الا لكونه سمع شعرا حشي بوجوه من البديع خرجت به عن الاسلوب المالوف فثقل تاليفه وبعد عن الافهام تناوله

واتبع طريقهما كثير من الادباء وربما انتهى بهم الاعجاب بمحاسن البديع الى مخالفة قانون العربية وتغيير بنية الكلمة من اجلها كقول بعضهم

انظر الي بعين مولى لم يزل * يولي الندى وتلاف قبل تلافي

فكانه زاد في مصدر تلف الفا ليتم له الجناس مع قوله تلاف ولا نعرف في كتب اللغة من ذكر التلاف مصدرا لتلف وانما يوردون في مصدره التلف بدون الف

ولم تقف سيئة الاكثار من البديع عند حد الشعر بل تعدى وباؤها الى النثر ايضا فطفق كثير من الكتاب يملؤون رسائلهم بوجوه التحسين الاستعارة والجناس ونحوها واجتهدوا ان لا يفوتهم الشعراء بواحد منها حتى اذا ما تلقيت صحيفة من هذا القبيل والقيت فيها نظرك ليطوف عليها بالمطالعة ادركته عند كل فقرة حبسة والتوت امامه طرق فهمها وان كانت معاني مفرداتها جلية فتحس به كيف ينتقل من كلمة الى اخرى بخطوات ضيقة كانما حمل على قيد من حديد واكثر هؤلاء يهملون النظر الى جانب المعنى والمحافظة على اقامته واستيفائه وهذا ما بعث الشيخ عبد القاهر الجرجاني حين قام ينادي بابسط عبارة ان الالفاظ خدم للمعاني وان المعاني مالكة سياسة الالفاظ واقام الحجة في كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة على ان مزية الفصاحة انما استحقتها الالفاظ ووصفت بها من جهة معانيها وازال كل شبهة عرضت لمن اعتقد انها مزية استحقتها اللفظ بنفسه

وادرك غالب المحررين اليوم ان تتبع هذه الحسنات ومواصلة العمل بها في نظم الكلام يبدلها سيئات تشمئز منها قلوب الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه بيانا فاقلعوا عن الاكثار منها لا سيما

في خطابات الجمهور وزهدوا فيها الا ما سمح به الخاطر عفوا ورمته الطبيعة بدون كلفة ظاهرة

وكانت اللغة في خلال الاعصر الماضية تعلو وتضعف وتنتشر في انحاء المعمورة على حسب كرم الدولة وعناية رجالها بالفنون الادبية فارتفع ذكرها حين كان الامير سيف الدولة يباحث ابا علي الفارسي في غوامض علم النحو وينقد شعر ابى الطيب المتنبي بذوق لطيف ويجازيه وغيره من الشعراء بغير حساب

وارتقى شانها يوم قام القاضي منذر بن سعيد في مجلس الملك الناصر لدين الله عند احتفاله برسول ملك الروم في قصر قرطبة وشرع يخطب من حيث وقف ابو علي البغدادي وانقطع به القول فوصل منذر افتتاح ابي علي بكلام عجيب واطال النفس في خطبة مرتجلة فخرج الناس يتحدثون ببديهته المعجزة وارتواء لسانه من اللغة الفصحى ولا مرية في ان كرم الدولة باعث على ارتقاء حال اللغة عند من التفت الى التاريخ واقام الوزن بين الشعراء الناشئين في زمن اجواد العرب وملوك آل جفنة وملوك لخم كزهير والنابغة وبين من تقدمهم من الشعراء

﴿ فصاحة مفرداتها ومحكم وضعها ﴾

تتفرع العربية بحسب اختلاف الشعوب والقبائل الى لغات متعددة ولكنها متقاربة اللهجة في اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها والمغايرة بينها يسيرة جدا لا تخرجها عن اعتبارها في الاصل لغة واحدة ذات

قوانين تطرد في جميعها ما عدا لغة حمير فانها تخالف لغة مضر خلافا ظاهرا ولا توافقها في اكثر اوضاعها ومقاييسها

وافصح لغات العرب لغة قريش وفضلت عن سائر اللغات بوجهين احدهما بعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ولهذا لم يحتج اهل الصناعة العربية الا بلسانهم او ما كان قريبا منه ولم يعتمدوا لغات القبائل التي تجاور غيرها من الامم كلغة لخم وجذام وقضاعة وغسان ولم يخالفهم في شرطهم هذا الا ابو عبد الله بن مالك فنقل في كتبه لغة لخم وقضاعة وغيرهم ممن يسكن اطراف الحجاز

ثانيهما ان العرب كانوا يفدون عليهم في موسم الحج ويقيمون عندهم قريبا من خمسين يوما فيتخيرون من لغات اولئك الوفود ما تعادلت حروفه وخف وقعه على الاسماع ويرفضون كل ما يثقل على الذوق ولا يجد في السمع مساغا

ولا غرابة ان تجري الالفاظ في وصف الحسن والقبح مجرى جنسها الذي هو الصوت فمن الاصوات ما يحدث في السمع لذة ويرتاح الخاطر بالاصغاء اليه كنغم الاوتار وسجع البلابل من الطير ومنها ما يرميه الطبع وينقبض لسماعه كنعيق الغراب وصرير آلة النشر

ويمكن الحكم على اللفظ بالحسن وضده ولو من غير العارف بمعناه متى كان ذوقه صحيحا فكل ذي ذوق سليم يفرق بين الورد والوردة والخوجم والخوجمة ويميز بين السيف والخنشليل ولا تتشابه عنده النفس والجرشى

واذا كان ادراك صفة الحسن في اللفظ المفرد لا يتوقف على ملاحظة مدلوله فيتيسر لمن لا يحسن لغة قوم ان يستمع الى مفرداتها المستعملة عند الفصحاء منهم ويستقريها الى ان ياتي على اكثرها ثم يدخل الى الحكم في وصفها بالفصاحة او الموازنة بينها وبين لغة اخرى ولا يبالي ومن اصغى جيدا الى الالفاظ العربية الجارية على السنة الفصحاء وجدها لذيذة في السمع خفيفة على الارواح حكى الشيخ ابن الاثير في المثل السائر انه لقي رجلا اسرائليا بالديار المصرية قال فجري ذكر اللغة العربية وفصاحتها فقال ذلك الرجل من بني اسرائيل كيف لا تكون كذلك فان واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني كوميل فجاء واضع اللغة العربية وحذف منه الثقيل وقال جمل فصار عذبا حسنا وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر اشياء كثيرة • ونقل بعض المحررين اخيرا حكاية ابن الاثير وقال سمعت من بعض اليهود العارفين بالعبرية ان الجمل يسمى جمال فيكون الفرق بينهما الالف بعد الميم وانكر تسميته كوميلا الا ان هذا يقرب من اسمه بالرومية

ويشهد لبناء العربية على قاعدة الاعتدال ان اكثر كلماتها وضعت على ثلاث احرف واقلوا من الرباعي والخماسي لئلا يطول بهم الامد في القول بدون فائدة ولم يكثروا من الثنائي حذرا من ان تتجاور منه عدة كلمات في خطاب واحد فيقع في لهجته تقطع كثير يضعف

بنسيجه ويذهب بحسن تناسقه وبهاء ترسله فان المتكلم الفصيح وان وصل الجمل بعضها ببعض ولم يقف عند انتهاء كل جملة منها لا يسردها سردا بل يفصلها في منطقه ويرتلها ترتيلا يميز به المتثبت في تلقى الخطاب الكلم الداخلة في الجملة من الكلم المنفصلة عنها وربما يتبين من هياة نطق الفصيح نهاية الكلمات فيميز السامع الحرف الذي هو منتهى كلمة من الحرف الذي هو بداية لكلمة اخرى • والثلاثي يبتدي فيه المتكلم بحرف ويعتمد على ثان ثم ينتهي بحرف آخر فيكون في آلة النطق امكن ويساعده على ان ينحو في هياة خطابه نحو المتانة والانسجام قال الباقلاني واضيق ما سوى كلام العرب او لخروجه عن الاعتدال يتكرر في بعض الالسنة الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيرا نحو تكرر الطاء والسين في لسان يونان ونحو الحروف الكثيرة التي هي اسم لشيء واحد في لسان الترك ولذلك لا يمكن ان ينظم من الشعر في تلك الالسنة على الاعاريض التي تمكن في اللغة العربية • ولشدة محافظتهم على الاعتدال في الكلم يسقطون شيئا من حروفها اذا عرض لها طول في بعض تصاريفها كحذفهم لاخر الاسم الخماسي في التصغير نحو سفرجل اذا ارادوا تصغيره يقولون سفيرج وكذلك يفعلون في جمعه فيقولون سفارج ثم انك لا تجدهم يجمعون في حشو الكلمة بين ساكنين لما ينشا عن اجتماع الساكنين من البطء في التلفظ بها ولا يوالون في اللفظة الواحدة بين اربع احرف متحركة حذرا من الاستعجال الحاصل من كثرة

الحركات المتوالية ويزيدك بصيرة بهذا اهمالهم للاوزان التي يتعسر النطق بها نحو فعل بكسر الفاء وضم العين رفضوه من ان يبنوا عليه شيئا من كلامهم للثقل الذي يوجبه الانتقال من الكسر الى الضم . وقرر الباحثون عن اسرار اللغة ان الالفاظ تختلف بطبائعها وهيآتها مثل اختلافها بالصلابة والرخاوة والفك والادغام والحركة والسكون ولم يصرف واضع العربية نظره عن هذه الوجوه ولاحظ في كثير من الالفاظ المناسبة بينها و بين ما يدخل في قياسها وان شئت مثالا يضرب على شاكلة ما قرروه فانظر الى علامة النسب فتجدها ياء شددت للمبالغة في وصف الانتساب وتلويحا الى شدة رابطة المنسوب بالمنسوب اليه فاذا استعملت في نسبة الشخص الى عشيرته مثلا كان تشديدها كالمهماز لتحريك غيرته عليهم او تنبيه عواطفهم للاقبال عليه

﴿ حكمة تراكيبها ﴾

من يرجع الى حال نفسه عند القاء العبارة يشعر بانه لا يحرك بها لسانه الا بعد ان يتصور معانيها المفردة ويضم بعضها الى بعض بروابط النسب الاسنادية او التقييدية في ذهنه فياخذ كل معنى من جهة التقديم والتاخير رتبة في النفس يستحقها بطبعه كالفاعل يخطر في البال قبل المفعول والموصوف يجري على المخيلة قبل صفته . وقد يعرض لبعض المعاني حال ينقله عن مرتبته الطبيعية ويعطيه في نفس المتكلم منزلة ثانية كالاهتمام بالمفعول به يقتضي تقديمه على الفعل

واذا تبين هذا فمما يرجع اليه في وصف العبارة بحسن البيان ان تكون

الفاظها مؤلفة على حسب ترتب معانيها في النفس سواء كان ذلك الترتب مما دعت اليه طبيعتها او اقتضته الاحوال العارضة ومن افتكر في تاليف الكلام العربي بالنظر الى تقديم اجزائه وتاخيرها وجده معتمدا على رعاية هذه القاعدة

تراتيب الكلم على ثلاثة اضرب احدها ما عينه الواضع وحكم به على سبيل الوجوب فيعد مخالفه مخطئا ويخرج الكلام الخالي من مراعاته عن الاسلوب العربي كتاخر التمييز عن المميز والمضاف اليه عن المضاف ثانيها ما عينه الواضع ايضا ولكنه قضى به على وجه الاصالة واعتبار ما هو الاولى ولا تخرج العبارة بمخالفته عن حدود العربية كتقديم اسم من صدر منه الفعل على اسم الذات الواقع عليها والبحث عن اسرار ما كان من قبيل هذين الضربين مبثوثا في مدارج علم النحو ثالثها ما لا يقتضيه الوضع على التعيين وجعل امره دائرا على رعاية ما يناسب المقام وتعيينه بحسب التراكيب المخصوصة موكول الى المعية المتكلم وحسن تصرفه كتقديم المفعول على الفعل لافادة اختصاصه به وعدم تعلقه بغيره والبحث في هذا القسم ووجوهه المناسبة مندرج في موضوع علم البيان

وكان من حق الالفاظ والجمل التي تناسبت معانيها وتعلق بعضها ببعض ان يلائم بينها في السبك ولا يفرق بينها في التاليف هذا هو الاصل الذي بنيت عليه العربية الا انهم لم يغلوا في ذلك لئلا يوقعوا السنتهم في حرج فاباحوا الفصل في مواضع لا يؤثر فيها الفصل تعقيدا ولا يختل

به فهم المعنى وعملوا به في موارد الجمل الاعتراضية على وجه الزينة وشبهوا ما بلغ الغاية في الحسن والقبول بحشو اللوزينج

ثم نظر العرب الى الجمل تستقل كل واحدة منها بنفسها فوجدوها تارة تتناسب ويتشبث بعضها ببعض من جهة المعنى فليس من الحكمة وجودة التصرف ان تلقى منثورة لا يراعى فيها جانب المعنى وتستانف واحدة بعد اخرى فاعملوا حروف العطف وسائط في وصل الجمل ونظمها في سمط المناسبة لتكون اجزاء الكلام متماسكة

وتارة تنقطع الجملة الثانية عن الجملة قبلها ولا يتصل حديثها بحديثها سوى انه اتفق الجمع بينهما في الاخبار وفي هذا الموضع يجب الفصل بين الجملتين فلو ضم المتكلم الجملة الاخيرة الى الجملة السابقة بعاطف كان بمنزلة من عمد الى جواهر غير متناسبة في المقدار ولا يشبه بعضها بعضا في الشكل وركبها في نظام واحد

ودعاهم اللطف ورعاية الادب في الخطاب الى الاغضاء عن شرط المناسبة فادمجوا حرف العطف بين جملتين ليس بينهما صلة مناسبة اذا كرهوا ان يسبق الى ظن السامع خلاف ما يراد منها لولا واسطة حرف العطف كقولهم لا وايدك الله

فوضع الفصل والوصل بين الجمل على هذا الوجه وبناء حكمهما على اعتبار المناسبة وما يقتضيه ادب الخطاب مما يوضع في ميزان العربية ويعد من دلائل الحكمة في وضع اساليبها . ويظهر مما ذكر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين (ان الفارسي سئل فقيل له ما البلاغة

فقال معرفة الفصل والوصل) ان للغة الفارسية تعلقا بهذا الباب

تعدد وجوه دلالتها

من المقرر ان الالفاظ لم توضع لافادة معانيها في انفسها ضرورة ان المخاطب يتصورها ويعرفها من حين علمه بالوضع وانما وضعت لافادة النسب والربط بين موضوعاتها على وجه الثبوت او السلب فلا دلالة للالفاظ على شيء قبل تركيبها وارتباطها بهيآتها الصحيحة

وللالفاظ العربية اذا ركبت دلالتان احدهما تصور مفردات على وجه النسبة بينهما واسناد بعضها الى بعض كدلالة قولك (اكرمت زيدا العالم اجلالا) على معنى صدور الاكرام منك وتعلقه بزيد الموصوف بالعلم لعلة باعثة على اكرامه هي الاجلال والدلالة على هذه المعاني تشترك فيها جميع الالسنة وهي الداعي الاول الى وضع اللغات ويمكن بالنسبة اليها نقل الكلام العربي الى لغة اخرى مع الاحاطة بجميع ما يراد منه ما لم يكن صالحا لعدة معان لم يتحقق المراد في واحد منها كما يفعله البليغ بقصد الاجمال على السامع لغرض يستدعيه المقام

ثانيها الدلالة على معان زائدة على المعاني الاصلية من احوال ترجع الى المتكلم او المخاطب او المتحدث في شانه او حال الفعل المخبر به وغير ذلك كدلالة الحذف لشيء من اجزاء الكلام على ضجر المتكلم وسآمته ودلالة تاكيد الجملة بالقسم على ان المخاطب ينكر مضمونها ومن هذا ايراد المسند اليه نكرة للدلالة على تعظيمه وتقديم الفعل على المفعول مثلا لاهتمام المخبر بشانه

وهذه المعاني الزوائد تعتبر في صورة الكلام بمنزلة الروح تسري في الجسد فتحدث فيه منظرا بهيجا وعلى حسب رعايتها تتفاضل العبارات في مقام البلاغة قال الباقلاني ان كثيرا من المسلمين قد عرفوا تلك الالسنة وهم من اهل البراعة فيها وفي العربية وقفوا على انه ليس يقع فيها من التفاضل والفصاحة ما يقع في العربية

ومن قصد الى ترجمة كلام عربي ونقله الى لغة اخرى لا يمكنه تادية ما اشتمل عليه من هذه المعاني الثواني والافصاح بها اثناء حكايته لمعانيه الاصلية ومع هذا لم يمنع اهل الاسلام ترجمة القرآن واجمعوا على جواز ترجمته لافادة ما ظهر من معانيه الاصلية لمن لا قدرة له على فهم العربية نقل الاجماع على ذلك ابو اسحاق الشاطبي في موافقته فما نقل الى بعض المسامرين بموت العربية من (ان ترجمة احدى سور القرآن الى لغة اخرى ممنوع عند المسلمين) غير مطابق للحقيقة بل اجاز بعض الايمة ترجمته الى الفارسية والقراءة بها عند العجز عن العربية ولو في حال الصلاة

ومن الايات ما يحتمل باعتبار معانيه الاصلية عدة وجوه ولا يمكن نقله الى لغة اخرى بحاله فاذا اعتمد المترجم على احد الوجوه لم تكن الترجمة قرآنا بالمعنى اذ يحتمل ان لا يكون مطابقا للمراد من كلام الله تعالى ومثل هذا لا ينبغي ان ينقل الا على وجه التفسير والبيان كان يذكر المترجم الاية بلفظها العربي وياخذ بعد ذلك في بيانها باللسان الاخر وصرح الغزالي في كتاب (الجام العوام) بحرمة ترجمة

الايات المتشابهات واستدل على ذلك بان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها ومنها ما يوجد لها فارسية تطابقها ولكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها منها ومنها ما يكون مشتركا في العربية ولا يكون في العجمية كذلك ومثل الفارسية غيرها من لغات الاعاجم

﴿ تعدد اساليبها ﴾

مما يشهد بارتقاء اللغة وسعة غايتها في البيان تعدد اساليبها وكثرة طرق افادتها فان العبارات اذا اختلفت في اساليبها تغاير ما تصوره في نفوس المخاطبين من المعاني وان كان الغرض واحدا فصورة المعنى الذي يستفاد بطريق المجاز او الكناية يغاير الصورة التي تؤدى بلفظ الحقيقة او القول الصريح بل الصورة التي يرسمها قولك زيد كريم الطبع غير الصورة التي ينقشها قولك زيد ذو طبع كريم وان اتحد اصل المراد من المثالين وهو اثبات الكرم لطبع زيد ولولا ان العبارات الواردة على غرض واحد مختلفة في صور معانيها لم يظهر التفاوت والتسابق بينها في حلبة البيان

واذا قويت عارضة المتكلم في العربية امكنه ان يتصرف في الغرض الواحد ويفرغه في اساليب مختلفة كان يلقيه في صورة تكلم او خطاب او غيبة يطابق به الحقيقة او يسلك به خلاف الظاهر على وجه الالتفات او التجريد او ينشيء الطلب في صيغة الخبر او يحكي الخبر في صورة الانشاء او يدخل بعض كلمات في نظم الجملة ليتقوى به نسجها او يفيد

قيدا تتوفر به جزالة معناها وتارة ياتي بالالفاظ مساوية للمعنى المراد ويفصلها على مقدار الحاجة وربما كان اسقاطه لبعض الجملة اوقع في النفس وابعد عن اللغو فيحذفه وينبه على مكانه • ويعبر بلفظ مفرد ان شاء او مركبا نحو سبقه ووصل قبله والمفرد اما مجرد من حرف الجر او موصول به نحو اخرجته وخرجت به او ياتي بالمراد في سياق النفي او الايجاب نحو لم يشح بالتعليم وسمحت نفسه به او يعبر عن الشيء وصفته بمركب اضافي او يركبهما على قياس النعت مع منعوته نحو يعجبني كبر همتك او همتك الكبرى ثم ان الحاذق في عمل التمثيل هو الذي يمثل لك الحزين المتضاحك والمستبشر المتباكي كذلك الفصيح يبرز لك الجد في صورة الهزل او يكسو الهزل بلباس من الجد ويلقي المدح في قالب الذم ويسوق الذم في معرض المديح كقولهم (ارانيه الله اغر محجلا) اي محلوق الراس مقيدا وقد ينحو نحو البراعة في الصناعة واظهار القدرة على التانق في تاليف الكلام فيشحنه بضروب الاستعارات وفنون التشابيه وغيرها من محاسن البيان التي لا يعقلها الا الخاصة من الادباء كما فعل الحريري في مقاماته او يتخير ما كانت الفاظه صريحة ومعانيه واضحة يسهل مأخذها على كل من له المام باللغة وذهن حاضر في الجملة الى غير ذلك من وجوه الاختلاف وطرق التعبير البالغة الى غاية يقف دونها البيان

ومن تنوع الاساليب الى ما يفوق حد الوصف اخذ كل شاعر وكاتب طريقة يعرف بها نظمه او تحريره حتى اذا تليت قصيدة لشاعر او

رسالة لكاتب لا تعلم نسبتها اليه وكنت عارفا بطريقته لم يشتبه عليك انها من انشائه • يؤيد لكم هذا ان خلف الاحمر كان يعمل الشعر على السنة الفحول من القدماء فيشبه كل شعر يقوله شعر من يصطنعه عليه ويقال ان القصيدة المنسوبة الى الشنفرى التي اولها

اقيموا بني امي صدور مطيكم   فاني الى قوم سواكم لاميل

هي له وقال انا وضعت القصيدة التي اولها

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج واخرى تعلك اللجما

ونسبتها الى النابغة وروي ان الفرزدق انتحل بيتا من شعر جرير وقال هذا يشبه شعري

واذا نبغ كاتب كالجاحظ او شاعر كالمعري وابتدع لنفسه اسلوبا راق في نظر ابناء عصره اخذوا في محاكاته واقتدوا بالعمل على منواله فتتماثل تحريراتهم ويتقرر لهم اسلوب جديد

ونقل الى المسامر بموت العربية (ان اساليبها واقفة عند غاية لا تتجدد) ولم يصب المبلغ له ذلك شاكلة الصواب فان من ينظر في اساليب التحريرات الراقية اليوم يجد بينها وبين اساليب المتقدمين بونا شاسعا فلو جئت الى رجل تدرب على مطالعة هذه المحررات الحديثة وامليت عليه صحيفة من نسجها وهو لا يعرف من اين صدرت ولا متى نشأت عقل على البديهة جدتها ولم يرتب في انها من قبيل الصنع الذي ظهر به هؤلاء الكاتبون كما لا يشك في معرفة ما يتلى من زبر الاولين ويدرك لاول نظرة انشاءها على الطرز العتيق • والناقد

لاصناف الكلام يفرق بين الانشاء الحادث والعتيق وان كانت المعاني فيهما متماثلة فلا يكن في ظنك ان الطريق المعرف للمنشآت الجديدة هو ما تتضمنه من الاسماء المستحدثة او الافكار التي لم يعتن القدماء ببثها والاساليب الخاصة بفرد او باهل عصر مما يرجع في تمييزه الى الذوق وليس في طوق احد ان يضبط لك اسلوبا ابتدعه كاتب او شاعر بقواعد يدونها حتى يمكنك اذا عرفتها ان تجري في تاليفك على نمطه بدون ان تتردد على محرراته بالنظر الجيد وتدع في حفظك شذورا منها بل صاحب الاسلوب نفسه ليس في طاعته سوى ان يتصور المعنى مجملا او مفصلا ثم يطلق عليه العبارة بمقدار ما تصوره به من الاجمال او التفصيل فاذا وجد في امد التعبير حرجا وعدم التئام مع الذوق شعر حينئذ بانه ذهب في غير منهجه المالوف ولا يسعه الا التصرف في القول بنحو تبديل الترتيب حتى يرده الى الاسلوب

﴿ طرق اختصارها ﴾

من البين ان الالفاظ وضعت لتنقل المعاني القائمة بالذهن الى افهام السامعين لا لزينة في المنطق وحلية للالسنة كيف حضرت وهذا ما دعا الواضع اولا الى التقدير في وضعها واعتباره بمقدار الحاجة الى الافهام فاذا اتفق في اللفظ القصير كفاية وغنى في الدلالة على المراد آثره في الوضع على ما هو ابسط منه حتى لا تسمع في حديث مخاطبك الحكيم لاغية

ثم ان عقول المخاطبين تتفاوت في الاستفادة من العبارات بالنظر الى

سرعتها في الانتقال الى المعاني وبطئها ومن جهة قرب غايتها في الفهم وبعدها ورب خطاب يلقى الى الغبي فيراه ابتر عن الفائده لا يشفي غليل المنتظر لتحصيلها ويوجه الى الالمعي فيسام لبعض كلمات او جمل تغنيه قوة الكلام وقرينة السياق عن ذكرها الصريح

فاقتضى تمايز المخاطبين بالفطنة والغباوة ان لا يستمر البليغ في سائر عباراته على نسق واحد وبيان لا يختلف وسبيله ان يلاحظ حال المخاطب اولا ثم يزن العبارة بحسبها ولم يغب هذا المعنى عن العرب فراعوا جانبه واضافوا اليه في الاعتبار ان الانسان قد تدعوه الحاجة الى الحديث في شان ويضيق به الوقت عن التوسع في البيان او يجد في نفسه ضجرا يثقل الكلام على لسانه فوضعوا في الاساس الذي بنيت عليه لغتهم قاعدة الاختصار ويجرى في كلامهم على وجوه يرجع الفضل في بعضها الى حكمة الواضع ومنها ما تعود المزية فيه الى اقتدار المتكلم ولطف تصرفه

روعيت هذه القاعدة في كثير من المفردات حال وضعها كما وضعوا الضمائر لتنوب الاسماء الظاهرة واقاموا علامة التثنية والجمع بانواعه مقام العاطف والمعطوف واستغنوا بتغيير الكلمة في التصغير عن وصف المسمى بالصغر بعد ذكر اسمه واعتبروا في وضع ادوات الشرط زيادة على التعليق الدلالة على جنس المعلق عليه من عاقل وغيره او مكان او زمان او حال فاكتفوا بنفس الاداة عن التصريح به من بعد وكذلك صنعوا في ادوات الاستفهام حين ادخلوا في مفهوماتها فضلا عن طلب

الاعلام الدلالة على جنس المسؤول عنه فاذا علمت بان احدا عند المخاطب وقصدت الى استكشاف حاله لتعرفه بعينه فهنا لا تفيدك الهمزة في طلب تعيينه مثلما تفيدك كلمة (من) اذ يلزمك مع الهمزة ان تعد الناس فردا فردا حتى تذكر الشخص المسؤول عنه وربما لا يخطر على قلبك او كنت لا تعلم اسمه من قبل فتستمر في تجديد السؤال ازيد عندك او عمرو او خالد وهو يجيبك بالنفي الى ان ينفد ما عندك من الاسماء ولا يحصل لك الجواب المطابق وليس على المخاطب ان يقول لك عندي بكر مثلا في جواب اعندك زيد الخ وسبيله ان يجيبك بكلمة لا او نعم وكذلك القول في بقية ما يسال عنه من مكان او زمان او حال او عدد

ومن هذا النوع ضمير الفصل وادوات الاستثناء وكلمة انما فانك تجد في ضمن استعمالها جملة ثانية تخالف الجملة المنطوق بها في الايجاب او السلب وتقرب منها حروف العطف لاغنائها عن اعادة العامل ودلالتها فوق ذلك على معان اخرى كمعنى الترتيب والتعقيب المستفاد من الفاء والترتيب والمهلة المستفاد من ثم

وانظروا اليهم كيف خالفوا بين اواخر الكلم في هيآتها واجروها على نظام محدود فكانت اوقع في النفس وادعى للاعجاب لما فطرت عليه النفوس المتنورة من استعظام ما يكون مرتبا على نظامات مطردة ولو لم يجروها على قانون ورموا بها كيف اتفق لقل العجب بها وفقدت من مآثر الفصاحة وجها بديعا ثم استشعروا حاجاتهم الى التفرقة بين

معان ينبني على تمايزها فهم المراد من الجملة كتمييز الفاعل والمفعول والمضاف اليه والمسند والمسند اليه وفي طوقهم ان يضعوا للدلالة على ذلك علامات غير احوال اواخر الكلم ولكن جنحوا الى طريقة الاختصار واكتفوا بها في التمييز بين تلك المعاني واعتمدوا في بعض الاحيان على دلالة التقديم والتاخير وقرائن الاحوال وزعم ابن خلدون ان الاعراب لا يوجد الا في لغة العرب قال واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة . وقد ثبت ان حكم الاعراب مما يوجد له اثر في اللغتين اليونانية والالمانية وان كانت العبرة به في لسان العرب ازيد وعنايتهم به اقوى . ثم ان العبارة المطابقة للمعنى المراد من نسبة امر لآخر تقتضي بطبيعتها ان تؤلف من ثلاثة الفاظ في الاقل واحد للمحكوم عليه وآخر للمحكوم به ولفظ ثالث لافادة النسبة بينهما وربط احدهما بالآخر طبق ما هو المنقول عن اللغة الفارسية واللغة اليونانية فالدال على النسبة عند الفرس لفظ است والموضوع لها في لغة اليونان لفظ استين ولكن العرب اقتصروا في تادية ذلك المعنى على لفظين فقالوا زيد عالم واستغنوا عن الرابطة بهيأة وضع التراكيب وما يجرى في اواخر الكلم من علامات الاعراب ومن اللغات الراقية ما لا يتصرف مثل اللغة التركية وبدخول الصرف في العربية تيسر في اللفظة الواحدة ان تدل على معان مثل قولنا تحاربوا يدل بواسطة صيغته الخاصة على وقوع الحرب بين جماعة وطبيعة المعنى تقتضي ان لا يعبر عنه باقل من اربع كلمات

ويحتون من كلمتين فاكثر كلمة واحدة نحو سمعل اذا قال سلام عليكم ودمعز اذا قال ادام الله عزك وقال ياقوت في معجم الادباء ان الشيخ ابا الفتح عثمان بن عيسى البلطي سال الظهير الفارسي عما وقع في الفاظ العرب على مثال شقحطب فقال هذا يسمى في كلام العرب المنحوت ومعناه ان الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار خشبتين ويجعلهما واحدة فشقحطب (١) منحوت من شق حطب فساله الملطي ان يثبت له ما وقع من هذا المثال ليعول في معرفته عليه فامـلاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه • ولم يقف النـاس في زمن الاسلام على ماسمع منه عن العرب فقالوا في النسبة الى الشافعي وابي حنيفة شفعنتي

ولا نعد النحت من خصائص العربية بل هو معروف في اللغـات الافرنجية اتخذوه منبعا يستمدون منه اسماء ما يحدث من المعاني على ممر الزمان فان جغرافيا مثلا ماخوذة من جيه بمعنى ارض واغرافو بمعنى ارسم وتلسكوب (المنظار الفلكي) من تيل اي بعيد وسكوبيو اي اختبر وجيولوجيا من جيو بمعنى ارض ولوغوس بمعنى علم وتلغراف مشتق من تيل اي بعيد واغرافو اي اكتب وتليفون من تيل اي بعيد وفون اي صوت وترمواي كلمة انكليزية من ترام بمعنى قضيب منبعج وويه بمعنى طريق الى غير ذلك من الاسماء المحدثة

وشرع العرب سنة الحذف فيضمرون الكلمة والجملة فما فوقها وينبهوا على المحذوف بقرينة المقال او المقام • وحال الحذف من مقدار اللفظ

(١) الكبش له قرنان او اربعة كل منهما كشق حطب (قاموس)

الذي يستحقه المعنى كابانة بعض اجزاء من خلقة الانسان والنقص في الخلقة منه ما يكون مكروها كقطع يد او لسان ومنه ما يستحب دائما ولا يحسن في النظر سواه كتقليم الظفر وتقصير بعض الشعر وقد يتقارب النقص والبقاء على اصل الفطرة فيختلف النـاس في ترجيح احدهما واختياره بحسب الاشخاص والاذواق كشجة تعرض في الوجه فتزيده حسنا وبعض انواع اللثغ يلذ في سماع اناس ويؤثرونه على الحرف المتمكن في مخرجه وكذلك الحذف يجري على هذا التقسيم منه معيب وهو ما اختل به اداء المعنى المراد وفسدت به هياة الكلام ومنه ما يدخل في سبيل الواجب ويعد الذكر مكانه خروجا عن قانون العربية كحذف الفعل في باب التحذير التزموه عند تكرار المحذر منه او العطف عليه لان التحذير انما يقع حيث اشرف المخاطب على مهواة خطر او خيف عليه من الحصول في مكروه وهذا يوجب على المتكلم المبادرة لاستيفاء الكلام والاختصار على قدر مـا يفهم المراد حذرا من طول الكلام على المخاطب حتى يغشاه المخوف منه قبل ان ياخذ في سبب النجاة وكذلك اوجبوه على انفسهم عند حث المخاطب واغرائه على طلب امر محبوب فان شدة الحرص على فوزه بمرغوب فيه وسباقه اليه تستدعي اختصار القول له ما امكن لئلا تفوته الفرصة قبل انقضائه ومن الحذف ما يدخل في حكم الجائز بحسب اصل الوضع ويفوض في ترجيحه واختياره عن الذكر الى نظر البليغ وما يقتضيه مقام تلك

العبارة بخصوصها كالحذف مع القرائن الخفية لاختبار نباهة المخاطب والعلم بمقدار شعوره

ونسمع من كثير ان العربية لا تصلح في تعليم الجند واوامرهم بالانتظام والاستعداد والهجوم واعمال السلاح بدعوى ان عباراتها الكافية للافهام في هذا الغرض لا تبلغ غايــة الاختصار المطلوب في مواقع الحروب وهذه غفلة منهم عن وجه الحذف الذي اوجبته العربية في مثل هذه المقامات وعدم دراية بان الكلام المستعملة لتنظيم حال الجيش عند الامم الاخرى انما دخل عليهــا الاختصار من باب الحذف والاضمار

وسلك العرب في طلب الايجاز جهة اخرى سوى طريقة الحذف هي ان يطلقوا العبارة فتشتمل بمفهومها على معان جمة ولا تستطيع ان تضع يدك في حشوها او على موضع من جوانبهــا وتشير الى كلمة او جملة سقطت هناك ولكنك لو اخذت المعنى من حواشيه وافرغته في الفاظ تنفصلها من عندك وتقدرها بالقياس على افهــام الاوساط او العامــة الذين لا يعقلون الا الصريح من القول لا تسع مجالهــا وكبرت عن طوق العبارة الاولى

﴿ اتساع وضعها ﴾

تنقسم اللغات الى راقية وغير راقية فغير الراقية ما كانت موادها قليلة لا يسع التعبير بها اكثر ما تمس الحاجة اليه مثل اللغات الزنجية ولغة بعض سكان استراليا وهذه الاخيرة على ما نقل بعض الكاتبين ناقصة جدا بحيث لا يمكنهم التفاهم بها الامــع اشارات حسية والذي عندهــم

والمتخاطبون ليلا بمنزلة من في آذانهم وقر لا يكادون يفقهون حديثــا والراقية ما غزرت مبانيها واتسعت طرق دلالتها فكانت موفية بتــادية المراد مع الاستغناء عن الاشارة وعدم الاعتماد على قرائن الاحوال في الاكثر مثل اللاتينية والفارسية والعربية

تحتوي العربية على ما يقوم بسداد الحاجة من ابنية الكلم بل على ما تدعو اليه زيادة التحسين والتحبير فانا نجد المعنى الواحد قد وضعت له الفاظ متعددة لتكثر وسائل التفاهم حتى لا تاخذ المتكلم حبسة في اثناء الخطاب فاذا غاب عنه لفظ وسعه ان ياتي بمرادفه واذا تعسر عليه النطق بكلمة كالالثغ عدل عنها الى غيرها كما فعل واصل الغزالي حين كان لا يحسن النطق بحرف الراء فتركه في زوايــا الاهمال ولولا الترادف ما امكنه ان ينبذ الراء من كلامه جملة

وقد يضطره الحديث الى اعادة المعنى فلا يؤوده ان يعيده بغير اللفظ الذي عبر به اولا مثلما قال معاوية رضي الله عنه من لم يكن من بني عبد المطلب جوادا فهو دخيل ومن لم يكن من بني الزبير شجاعا فهو لزيق ومن لم يكن من ولد المغيرة تياها فهو سنيد فقال دخيل ثم قال لزيق ثم قال سنيد فخلص كلامه من كراهة التكرار وارتفع شانه في الحسن درجة وبالترادف استعان المعتمد ابن عباد ملك اشبيليه حين وقف اثر جنازة ولده في محفل عظيم من الناس قاموا لتعزيته واقتدر على ان يجيب كل واحد من المعزين بعبارة لم يعدها الى غيره مع كثرتهم وكونه في

اسف شديد قال الباقلاني ويقول العارفون بالسنة الامم انهم لا يجدون في تلك الالسنة من الاسماء الموضوعة للشيء الواحد ما يعرفونه من اللغة العربية

وتجد بعض اللغات خالية من علامة التمييز بين المذكر والمونث كاللغة الفارسية والتركيه والانكليزية وميزت العرب المؤنث عن المذكر بوضع الالف في اسم او التاء في اسم وفعل كما فرقوا بينهما في الضمائر والموصولات واسماء الاشارة

ومن اللغات ما وضع خاليا مما يدل على العدد كاللغة الانكليزية فاللفظ الدال على المفرد هو الدال على غيره ومنها ما لا يوجد فيه سوى المفرد والجمع كاللغة الفارسية وزادت العربية بما يدل على الاثنين فميزوه عن المفرد والجمع بعلامة الالف او الياء وافردوه في وضع الضمائر والموصولات واسماء الاشارة باوضاع خاصة

ومن خصائص هذه اللغة جمع التكسير وجمع الاسم الواحد على عدة امثله وهذا لا يشاركها فيه غيرها حتى اللغتان اللتان يجتمعان معها في اصل واحد العبرانية والسريانية ويوجد جمع التكسير في اللغة الجيزية من لغات بلاد الحبشة لانها تفرعت في الاصل عن العربية

ولا نجد في بعض اللغات ادوات رابطة بين الافعال والذوات وهي الحروف مثل اللغة الصينية فيتكلفون في تادية معنى في مثلا الى ما يرادف كلمة وسط ولها في العربية محل من الاعتبار ومدخل في الدلالة على المقصود حتى افردها بعضهم بالتاليف وعدها ابن خلدون

من خصائص العربيه ونفاها عن غيرها وليس حكمه هذا بشامل لان الحروف توجد في لغات اخرى مثل اللاتينية وما تفرع عنها

ويحتمل الوضع العربي ان ينقل اللفظ عما وضع له اولا و يستعمل في غيره على شرط المناسبة بين المعنى الاصلي والمعنى المقصود من اللفظ فيقال غيث مثلا و يراد نبات واسد و يراد شجاع وهذا ضرب من التوسع في الخطاب لانه زيد للنبات اسم هو الغيث وجعل للشجاع اسم آخر هو الاسد بل اسماء الغيث كلها صارت بهذه الوسيله صالحة لان تطلق على النبات وجميع الالفاظ الموضوعة للاسد يصح استعمالها في الشجاع وترجع امثلة هذا النوع المسمى بالمجاز الى ضربين احدهما ما كانت علاقته غير المشابهة ويعرف بالمجاز المرسل وقد اخبر الشيخ عبد القاهر الجرجاني بانه لا يوجد في غير اللغة العربية

ثانيهما ما كانت علاقته المشابهة ويختص باسم الاستعارة وهذا الضرب لا تختص به العربية بل يجري به العرف في غير اللغات الراقية ايضا فان بعض سكان استراليا لا يجدون في لغتهم ما يفيد معنى صلب فاذا اضطروا الى وصف شيء بالصلابة قالوا حجر

ويتمايز هذان النوعان في الترجمة ايضا فلو ابدل مترجم الغيث فى قولنا رعينا غيثا باللفظ الموضوع للنبات في اللغة المنقول اليها لم يتغير المعنى وكان مؤديا للكلام بحاله ولو انه ترجم بحرا في قولك رايت بحرا يعطي الدنانير بلفظ يرادف كريما ولم يعبر بالاسم الذى يوافق البحر في تلك اللغة لاخل بجانب المعنى ولم تكن الترجمة مطابقة وقد تجري العادة

في لسان قوم باستعارة اسم شيء لاخر فيحسن موقعها من قلوبهم ولا يالفها قوم في مجاري خطاباتهم فتتبرا منها اسماعهم وتنفرها اذواقهم وبمثل هذا يظهر النقص في صورة المعنى المودي بلهجة لغة اذا تقل الى لغة اخرى

ولاتساع العرب في كلامهم بهذه الوجوه الترادف وجمع التكسير والمجاز وما يشاكلها من القلب اللفظي نحو جبذ وجذب وورود الكلمة الواحدة على عدة احوال مختلفة بزيادة بعض الاحرف ونقصها كاصبع واصبوع تمكنوا من بناء اشعارهم على هذه الاوزان المعتدلة والتزموا فيها القافية ورويها بدون كلفة فجاءت محكمة في وصفها بديعة في نسجها قال ابو نصر الفرابي ان الالسن العجمية متى وجد فيها شعر مقفي فانما يرومون ان يحتذوا فيه حذو العرب وليس ذلك موجودا في اشعارهم القديمة

وتيسر للعرب بهذه الاسباب ايضا ان ياخذوا بطريقة السجع فياتوا بالكلام قطعا قطعا ويلتزموا في كل كلمتين منه قافية وكان هذا النوع في زمن الجاهلية متداولا بدون ان يتغلب على المرسل واكثر ما يستعمل عند اصحاب الكهانة فانهم كانوا يلتزمونه التزاما ثم هجره الناس في صدر الاسلام هجرا جميلا فلا يستعملونه الا اذا ارسلته السجية بدون تطلب وتصنع ثم اخذ في القرون الوسطى من العناية والحظوة ما لم يكن له في صدر الاسلام ولا في زمن الجاهلية فدرج الناس على سنته في خطاب الجمهور والتزمه الكتاب في مخاطبة

السلطان الى الرعايا وكتبوا به بعض الرسائل العلمية وتغنت به الباعة في النداء على امتعتها

وبالغ بعض البيانيين في الرفع من شانه حتى جعل تقديم الكلمة عن موضعها لصحة السجع او الفاصلة من وجوه البلاغة ونبه الباقلاني على عدم استقامة هذا الوجه بالنسبة الى الكتاب الحكيم لان صرف الكلمة عن مرتبتها في النظم لتوافق شيئا من محاسن البديع نوع من التصنع الذي عابه علماء الفصاحة على المولدين ثم ان صحة السجع انما هي عذر يقيمونه لرفع الملامة في مخالفة ما يقتضيه السياق واذا ساعدتك نفسك على الاعتذار به في سجع او قافية من كلام البشر فلا تسمح لك بتقريره في كتاب الله الذي لا يعجزه ان يضع كل كلمة في منزلتها التي يستدعيها حال المعنى مع سلامة الفاصلة

وادرك كثير من المحررين اليوم ان المرسل اوسع مذهبا في البيان فعدلوا الى طريقته في خطاب الجمهور الا اذا ساعدهم الطبع على السجع بسهولة كغيره من محاسن البديع

ابداع العرب في التشبيه

علم من صدر هذه المسامرة ان الباعث على التشبيه امر فطري وهو قصور العبارة عن ايضاح المراد لهذا لم يختص في اصل استعماله بالبلغاء من الناس وتناولته الاطفال في حجور امهاتهم وايضا لم تتميز به لغة دون اخرى بل فازت اللغات السافلة منه بنصيب فان بعض سكان استراليا لا يوجد عندهم ما يؤدي معنى مستدير فيقولون مثل القمر

وجرى العرب في هذا المضمار الى الغاية القصوى ورموا في تشابيهم الى اغراض أخرى وراء البيان والايضاح منها القصد الى مدح المشبه وتزيينه في عين السامع لتنبسط نفسه اليه وتتقوى رغبتها فيه حيث حوكي بصورة راقية في حقيقتها او حسنة في وضعها ومما ينبني عليه التشبيه الاهتمام بشان المشبه به لان صانع التشبيه يلتفت اولا الى ما استودعه في مخيلته من الصور فتخطر على مفكرته وتتسابق اليها على حسب تكررها على ذهنه وتوجه قلبه اليهـا فاذا ضرب مثلا عند الاستغنـاء عنه او اختاره دون غيره مع مساواته له في تحصيل الغرض اشعر بكثرة ملابسته له وتردده على فكره فلا غرو ان تستفيد من تشابيه الرجل مكان همته والى اين تذهب نفسه في معالي الامور او اسافلها ومن الخطا الذي يعرض للاديب هنـا ان يجري في تشابيهه على مـا يلابس خاطره ويسبق الى قريحته ولا يراعي في ضرب المثـل حـال المخاطبين وما هو معروف لديهم

ثم انهم لم يقتصروا في المشبه به على حد ما تقع عليه الحاسة او تدركه القوة العاقلة من الحقائق الثابتة وتعدوا الى ما تقدره قوة الخيال من المعاني التي لم يتحقق لها اثر في الوجود • وراوا الفضل في التشبيه البسيط غير كبير اذ لا مزية تظهر للشاعر في تشبيه الشجـاع بالاسد والعزيمة بالسيف فترقوا في ذلك الى انتزاع الهيآت المفصلة من المركبات في الواقع او بواسطة الخيال كتشبيههم الزرع تتخلله شقائق النعمـان وهو يميس امـام الرياح بكتيبة لباسهـا اخضر قد انهزمت ومن

بينها جرحي كسيت باثواب من الدماء ولولا قوة مداركهم ولطف تصرفها ما رايت فئة كثيرة من الشعراء يتواردون على تشبيه شيء واحد فيسلك كل فرد منهم جهة لم يتعلق بها نظر غيره كما بلغوا في تشبيه الهلال الى ما يقارب السبعين وجها • منها قول شرف الدين ابن الريان

كان الهلال نزيل السما * و قد قارن الزهرة النيرة
سوار لحسناء من عسجـد * على قفله وضعت جوهره

ومنها قول بدر الدين محمد بن مكي

كان الشمس اذ غربت غريق * هوى في البحري او وافى مغاصا
فاتبعها الهلال لدى غروب * بزورقه يريد لها خـلاصا

فيمكنك ان تنظر الى تشابيه الامة وما يضربونه من الامثال وتجعلهـا عنوانا على اضاءة عقولهم وشاهدا بالغاية التي تنفذ اليهـا بصائرهم فان المشبه به اذا كان نادر الحصول في الذهن او في ضمنه تفصيـل كثير صعب استطراده في غير موضع الحديث عنه ولا يتمكن من قلادة التمثيل به الى من كان له نظر واسع في تخييل المعاني القاصية وقوة فائقة في تاليفها مع ما يجانسها في شمل واحد • و كثيرا ما يصنع الادباء التشابيه على بساط المساجلة لمجرد الرياضة واظهار البراعة في الالتفات من معنى الى آخر وادخاله في نسق الحديث عن غيره بمناسبة لطيفة

فالادباء يختلفون في مراتب التشبيه ويتفاوتون في الغوص على لطائفه

مثلما يختلف المصورون من اهل السياسة في تمثيل حال امة في سعادتها
او شقائها مثلا او حال دولة في اتحادها مع دولة اخرى او معارضتها
ويتفاوتون فيما يضمنونه في ذلك التمثيل من النكت السياسيه
ولم تكفهم الاصابة في وجه الشبه والتحقيق فيه فدعاهم لطف الذوق
في التمثل الى التحفظ في موارده عما لا يلائم الغرض منه الا ترى
الاصمعي كيف عاب في مجلس الرشيد قول النابغة

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر السقيم الى وجوه العود

فان النابغة وان سدد الرمية الى وجه الشبه لكنه اورده في صورة
تقتضي تشبيه المحبوبة بالسقيم وذلك مما يتخلى ذوق الاديب عن قبوله
ونظير هذا ان يمثل المصور السياسي امة في سعة رفاهيتها وسعادة
حريتها فيرسم صورا كريهة المناظر تمرح بملابسها الفاخرة في رياض
باسمة الازهار ويرمز الى روح الامن والاطمئنان باسطة اشعتها في
صدورهم بانتظام سيرهم والسكينة في حركاتهم فهذا المثل كما رايته
مستوف للغرض الذي رسم من اجله لان السعداء بنعمة الحرية لا
يجب ان تكون وجوههم مشرقة واعضاؤهم متناسبة ولكن ما ارتكز
في النفوس من اعظام الحرية وشدة الشغف بها يخيل اليها ان من لبسوا
رداءها وتحلوا بزينتها لا بد ان تلقى على وجوههم نظرة النعيم وتعلوها
وضاءة لا يبصر الناظر معها الا حسنا فاذا شاهد انسان الاحرار في
صور كريهة نقص اعجابه بالحرية او نازع المصور في عدم اتقانه لذلك
التمثيل . واتسع العرب فى هذا الباب الى ان قال المبرد في الكامل لو

قال قائل هو اكثر كلام العرب لم يبعد . وتفننوا فيه على حسب
توغلهم فى الحضارة ومشاهدتهم للصور الغريبة ولا جرم ان يجد الناظر
في تشابيه ادباء الامة ما يطلعه على نبذة من احوالهم المدنية فان كثيرا
من الاشياء يتعالى الاديب عن الحديث في شانها الا اذا ساقها اليك
مساق التمثيل بها فمما يقرب معرفتك الى هياة لباس النساء في عهد
ابن الرومي قوله يصف قوس الغمام

يطرزها قوس الغمام باصفر * على اخضر في احمر وسط مبيض
كاذيال خود اقبلت في غلائل * مصبغة والبعض اقصر من بعض

ومن عرف القائل

اليوم لو شاهدت يوم نزالنا * والخيل تحت النقع كالاشباح
تطفو وترسب في الدماء كانها * صور الفوارس في كؤوس الراح

لم يبق على الجهالة بشكل الكؤوس المستعملة لذلك العصر وعقلها
على اي صورة تصنع ولعلك تسمع قول النور الاسعدي

يمينا ما مدحتك من ضلال * ولي في ذاك عذر في الكمال
ولكني لاكمل منك نقصا * كما جعل الطراز على الشمال

فتستفيد منه ان العلامة التي تجعل في ثياب الكبراء من قبل الامراء
ليمتازوا بها عن غيرهم كانت توضع في القديم على جهة اليسار كما هي
عادة رجال الدول اليوم في وضع غالب النياشين التي هي بمثابة الطراز

اقتباسهم من غير لغتهم

مما يشهد للعرب بارتقاء افكارهم وبعدها عن ساحة الجمود انهم لم

يستنكفوا مع اعجابهم بفصاحة لغتهم وعلمهم بكثرة مفرداتها وتصاريفها ان يضيفوا اليها من لغات الامم ما يوفر عددها ويزيدها سعة على سعتها ومن هذه الالفاظ الدخيلة ما يبقونه على حالته التي كان عليها عند العجم نحو كركم ومنه ما يغيرونه بالنقص او الزيادة او الابدال لاسيما اذا كانت حروفه مخالفة في المخارج والصفات لحروف لغتهم مثل فيروز فاؤه عند العجم بين الفاء والباء ومثل الاسقف واصله باليونانيه (ايسكو بوس) وربما اشتقوا منه افعالا على قياس ما يشتقونه من اسماء الاجناس الاصيلة في ابنيتهم نحو تطيلس اذا لبس الطيلسان والجم الدابة اذا وضع اللجام في فمها واتسعوا في تصريفها الى ان نقلوها الى غير معناها على سبيل المجاز فقالوا لجمه الماء اذا بلغ فاه

واذا تصرفوا فيها كما يتصرفون في اوضاع كلامهم صارت بمنزلة الالفاظ المرتجلة عندهم . وليس بصحيح ما يزعمه بعضهم من ان ادخال الالفاظ الاعجمية على اللغة مفسد لها فان القرآن وهو الراقي بفصاحته الى حد الاعجاز قد اشتمل على عدة كلمات غير عربية نحو مشكاة من الهندية واستبرق من الفارسية وقسطاس من الرومية وهذا لا ينافيه قوله تعلى (ان نزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فان هذه الالفاظ لما اخذها العرب وادخلوها في لسانهم اختلطت بلغتهم وصارت معدودة فيما هو عربي فصيح فلا يخرج الكلام الشامل لها من نسبته الى العربيه

وانكرت طائفة منهم ابن جرير الطبري وقوع المعرب في القرآن وادعوا ان هذه الامثلة مما توارد فيها اللغات فتكلمت بها العرب والفرس او

الروم مثلا بلفظ واحد من دون اقتباس ولا يصح القول بهذا في مثل استبرق وسندس لان الثياب الحرير ليست من مصنوعات العرب وانما عرفوها من الفرس

وتجاوز كثير الحد في هذا النوع واتوا الى كل لفظ عربي يعثرون عليه في لغة اخرى وحكموا عليه بان العرب اقتبسته من تلك اللغة وان كان معناه مما شانه ان تشترك فيه الامم او لا يدرى من الذي انشاه سابقا مثل الهرج اي الفتنة والدري اي المضي والشطراي الجهة يقول بعضهم ان العرب اخذتها من الحبشة ولن يجد دليلا على ذلك اذ يحتمل ان الحبشة هي التي اخذتها من العرب او تكلم بها الفريقان على سبيل الاتفاق

﴿ ارتقاء اللغة مع المدنية ﴾

يعلم كل من له حظ من تعاليم هذه اللغة ان موضوعاتها لم تقف عند الحد الذي انتهت اليه قبل الاسلام ولا في زمن نزول الوحي فكثير من الالفاظ وقع التصرف فيها فنقلت الى شرائع ومعان لا تعرفها الجاهلية مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة ومثل المنافق والفاسق والمخضرم ولما دونت العلوم على اختلاف فنونها وحدثت معان لم تكن اشتقوا لها اسماء من اللغة واجروها مجرى العربي الصحيح في الاستعمال ولم يقتصروا على الاشتقاق من العربية وسلكوا طريقة العرب في اقتباسهم من غير لغتهم فنقلوا جملة من الكلمات الاعجمية واستعملوها بحالها كالسقمونيا والاسطرلاب من اللغة اليونانية والاسطوانة والبنج من اللغة الفارسية

هذه الاصطلاحات المتجددة وان كان السبب الذي يدعو الى وضعها اولا هو الحاجة الى التفاهم في مسائل تلك العلوم فلا جناح على من اوردها في اغراض خارجة عن العلم متى جرت اليها مناسبة تشبيه او او تلميح في خطاب لا يقصد به الا الخاصة من الادباء وانما يعاب استعمالها في مثل المقالات والقصائد والخطب التي يوجه الخطاب فيها الى عامة الناس لغموض معانيها وعدم اشتهار وضعها وفي قصائد الشعراء ورسائل الكتاب من التلميحات والتشابيه بالمعاني العلمية ما يستحق ان يذكر في عدد حسناتهم البديعية كقول بدر الدين الدماميني في بعض قصائده

وقد شابه الاعداء جمعا مؤنثا * لذلك غدت في حالة الفتح تكسر

وكثرت اصطلاحات الفنون واتسعت شعوبها حتى خصصوها بمعجمات مثل كتاب التعريفات للجرجاني وكتاب الكليات لابي البقاء وكشاف اصلاحات الفنون للتهاوني

فالاسلام لم يعق العربية عن النمو ولا شد وثاقها عن الارتقاء مع المدنية كما اوحي به الى بعض المسامرين فقرر في سياق الاستشهاد على موت العربية (ان المسلم الخالص يلزمه ان يبقى اللسان الذي نزل به القرآن على حاله • وتحويل الكلمة عن معناها الاصلي الى معنى جديد يعد تغييرا للغة) فهذا لفظ الباي والمدير والسفير والمشير ومجلس الشورى وكثير من اصطلاحات الصنائع والفنون لم تكن معروفة في

صدر الاسلام بهذه المعاني الخاصة ويستعملها الناس منذ وضعت بدون تحرج منها او دخول شبهة عليهم في استعمالها

ومما يزيل هذا الغلط ويمحي اثره ان العربية لم يحتكرها العرب المسلمون لانفسهم ولا سدوا افواه القوم المخالفين لهم عن التخاطب بها بل لا تزال لسان طوائف ذات ملل مختلفة من حين بزغت شمس الاسلام الى يومنا هذا فعلى تسليم ان يقضي الاسلام ببقاء اللغة واقفة عند حد فلا يجري حكمه هذا الا على من لبسوا هديه وتطوقوا بقلادة شريعته لان هؤلاء الطوايف وان ضمهم الاسلام تحت حمايته فانه يطلق لهم الحرية فيما يدينون وما يصنعون ولا يحملهم على ما يقرره من الاصول او الفروع فاذا قدرنا ان العربية سكنت انفاسها ولحقت باصحاب القبور كما يزعم المسامر فهي وسيلة من وسائل الارتقاء وسعادة الحياة اهملتها امة غير متحدة في الملة فكيف يستقيم لنا ان نلقي مسؤولية ذلك على عاتق دين لا تنسحب واجباته على جميعها وليس التصرف في ترقية حال اللغة من متعلقات السياسة خاصة حتى يقال ان امره في يد الهيأة الحاكمة وهي متلبسة بشعار الاسلام • فلو نهض افراد من امة غير مسلمة يسعون الى عمل لا يلحق بغيرهم ضررا كاصلاح لسانهم لم يكن للدولة الاسلامية بوصفها اسلامية ان تعارضهم وتحول بينهم وبين ذلك المسعى وان كان عملا غير صالح في شريعة الاسلام • فليس من العدل في القضية ان نسند موت اللغة لو وقع الى الاسلام وحده وهي لسان امم لا تجمعها شريعته

قال المسامر ان هذه اللغة ضيقة النطاق لا تسع تحريرات العلوم العصرية ولا يمكن ان يوجد فيها اسماء لهذه المخترعات نحو فوتغراف وتلفون . وهذه قضية تردها شهادة التاريخ والعلم فان علوم الحكمة والطب والهندسة والحساب والفلك والمنطق وغيرها قد ترجمت في عهد الدولة العباسية ودونت بالقلم العربي واصبحت تدرس بلسان عربي مبين واما شهادة العلم فانه يمكننا ان نضع لهذه المعارف الحديثة اسماء عربية وهو احسن الطرق وافضلها لئلا تكثر الالفاظ الدخيلة وتتغلب على ما هو عربي فتؤول بكثرتها الى خروج الكلام وانسلاخه عن صبغته العربية فان اللغات تتمايز بالاساليب وبالمفردات الا ما كان قليلا

ولما كانت العربية من اللغات المتصرفة يشتق منها اسم الفاعل والمفعول والمكان والالة سهل الطريق الى وضع اسماء مفردة لهذه المستحدثات فان اكثرها من قبيل المكان او الالة او الموصوف بالفعل وهناك وسيلة اخرى هي طريقة المجاز فاذا عرض لنا معنى جديد نظرنا الى لفظ يتناوله على وجه عام مثلا او مستعمل في معنى يقرب منه وعلقناه عليه كما فعل بعض الاذكياء في رتل وقطار وبريد ومنطاد وعربة ولا تثريب علينا اذا لم نهتد الى وضع اسماء مفردة ان نطلق عليها اسماء مركبة نحو حاكي الصدى لفونغراف وكذلك يفعل الافرنج الان فاسماء المستحدثات عندهم من قبيل المركب او المنحوت

وبعد هذه الوسائل فان العربية كما علمنا تتلقى ما يرد عليها من

الالسنة الاخرى وتتقبله بقبول حسن بعد تنقيحه وسبكه في قالب عربي فلا مانع من ان تقتبس اسماءها الموضوعة لها في اصطلاح مخترعيها عند استحسانها وتهذيبها ثم تحشرها في زمرة ما هو عربي فصيح

﴿ اتحاد لغة العامة والعربية ﴾

اذا تتبعنا لغة التخاطب الان لنعلم نسبتها من العربية وجدناها نفس العربية ولكن طرا عليها التحريف بنقص احوال الاعراب او تغيير حروف بعض الكلم بالحركة او السكون او التخفيف او التشديد او الحذف او الزيادة او القلب او الابدال وقد يرد الخطا عليها من ناحية الاشتقاق نحو شائب ومهبول ومبروك فان الصحيح عربية اشيب واهبل ومبارك . وهناك كلمات دخيلة اقتضتها سنة المخالطة وقدرها بعض المحررين بالنسبة الى ما هو عربي في لسان المصريين بخمسة في المائة وليس التفاوت بينهم وبين التونسيين ببعيد

ومن شواهد ان لغة العامة لسان عربي دخله التحريف انك تراهم يستمعون الى القرآن الحكيم فيفهمون ظاهرا منه ويتاثرون لسماعه وتسرد عليهم القصص المؤلفة بقلم عربي فلا يفوتهم من فهمها الا ما كان نادرا واستشهد المسامر على عدم حياة العربية بان الجرائد المحررة بقلم راق لا يفهمها جميع الناس . وهذا مسلم في المنشآت التي يرمي فيها الكاتب الى انظار بعيدة عن افكار العامة ولا اظن العالم والامي في اي امة يكونان سواء في فهم التحريرات المشحونة بالانظار العالية وان كانت خالية من المعاني العلمية واصطلاحاتها واما ما كانت معانيه قريبة

المتناول كاخبار الوقائع والاعلانات فلا يخفى عليهم فهمها وان كانت عباراتها راقية الا ان تشتمل على بعض مفردات غريبة وعندهم مـا يرادفها من العربي صحيحا او محرفا

ولا ننسى وان نسي المسامر ان لغة العامة في كل امة لا تنطبق بجملتها على اللسان الذي يكتب به علماؤها وان كان الفرق بينهما في ممالك اروبا على ما ينقل اقل من الفرق بين لغة التخاطب عندنا والعربية الفصحى لان اولي الامر منهم في الاعصر القريبة كانوا اشد عناية بشان التعليم واحرص على تعميمه بين رعاياهم واستقامة السنة الامة في اللغة على قدر ما يفتح لها من ابواب التعليم ويتخذ فيه من الوسائل القريبة ولهذا نرى لسان المتعلمين منا او من يتردد على صحبتهم اقرب الى العربية من لسان الاميين الذين لا يحومون على ساحة التعليم

ثم ان ما قرره المسامر في شرط حيـاة اللغة وبنى عليه الحكم بموت العربية وهو (ان يكون لسان التخاطب بها مطابقا للسان الكتابة تماما) نحن في سعة واختيار من قبوله والاعتبار بوزنه سواء قـاله من تلقاء نفسه او تبع فيه سلفا على وجه التقليد فان شرطه هـذا امر وضعي لا يستند في تحقيقه الى حجة عقلية فلا يكبر علينا الالتفات عنه ونعتمد وضعا آخر لشرط الحياة فنقول ان اللغة الحية هي التي يكتب بها طائفة من الامة على وجه الصحة ويمكنهم ان يتفاهموا بها كذلك في اي غرض يعرض وان كانت في نطق العامة محرفة ونسمي ذلك التحريف مرضا لا موتا حقيقيا

واذا ثبت ان لغة التخاطب الان عربية ولكنها ابتليت بعلل يرجى برؤها منها وعودها الى تمام صحتها بالمعالجة شيئا فشيئا فلا يحسن بنـا ان نهجر اللغة الفصحى ونسعى في تدوين لغـة العامة على علاتها فان تحريفها يختلف بحسب اختلاف الاقطار والبلاد حتى يكاد اهل الاقطار المتباعدة لا يفهم بعضهم خطـاب بعض وان اشتركوا في فهم العربية الصحيحة واذا اريد ان اهل كل قطر او بلاد يدونون لسانهم المحرف فانظروا ما ذا ترون . ايجمل بنا ان نعمد الى لغـة يشترك في التفاهم بها جميع المسلمين على اختلاف اجناسهم ويتخاطب بها ابن الصين مع ابن مراكش بدون واسطة ترجمان وبينهما من بعد المسافة مثل ما بين ملتقى الخافقين ونفرقها الى لغات شتى تفريقا يجعلها في الاقل لغات سافلة منزوعة من سر الفصاحة والرونق ولا تجـد قوة تذود بها عن حياضها كما وجدت العربية من ذات فصاحتها حاميا ونصيرا

وللعربية في نظر المسلم موقع عظيم من الاعتبار لان الاسلام وان لم يجعلها من شعائره فيامر المسلم بالتزامها في سائر خطاباته الا انه استحب له تلاوة القرآن والتدبر في معانيه لمعرفة وجوه اعجازه واستخراج عبره والاستضاءة بانوار هديه لان غيره من كتب الحكمة والارشـاد ليس لقولها سلطان يوثر على النفوس ويعمل عمـل القرآن في تطهيرها عما يعرض لها من الوساوس وهدايتها الى محاسن الاخلاق ولا سبيل الى التدبر في آياته وادراك بلاغته الا بعلم هذه اللغة

ولما علم المحققون ان استنباط الاحكام التفصيلية عند الحاجة اليها يجب

ان يقوم به طائفة من الامة • والاحكام انما توخذ من القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلاهما وارد بلسان العرب عدوا من فروض الكفاية التبحر في معرفة العربية وهذا وجه نسبتها الى الاسلام وهو الحصن الذي يتكفل بحفظها وبقائها ما بقي دينه القويم

واذا كانت العربية راوية تتلقى منها علوم الدين وبريدا يحمل الينا علوم الدنيا فمن واجباتها علينا ان نصرف الهمة في سبيل اصلاحها ونعدل السنة الناشئين باثارها الصحيحة فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا

وعند انتهاء المسامرة قام رئيس الاحتفال المدرس الشيخ السيد محمد الطاهر بن عاشور النائب الاول بنظارة الجامع الاعظم جامع الزيتونة والقى خطابا بليغا نصه

ايها الرفقاء الفضلاء !

اقدم عن هيئة الجمعية الخلدونية وافر الشكر وجزيل الثناء على هاته المسامرة الفائقة التي برهن فيها الاستاذ المسامر على وجود حياة اللغة العربية • واعرب عن اطوارها في نشاتها وشبابها وشيخوختها فارانا في آن واحد حقائق فلسفية مودعة في الفاظ تكون لها كالشواهد التمرينية • ليرى الناشئون من مثال هاته المسامرة رونق الحياة يسري في جسم اللغة العربية مهما هبت من سباتها • او على راي فريق مهما نشرت من مماتها • فما هاته اللمحة التي مرت بنا في هاته الليلة الا

طائف الم باسماعنا يذكرنا ذلك العصر الباهر • وتلك الخطب السامية التي كانت تلقى على ربى عكاظ اوتنبر بين اساطين الشام وقرطبة وبغداد • فياليت شعري هل استحضار روح اللغة لقوة هذا الاستاذ المسامر البالغ بين اسماعنا يشجع ما سبق من اطاعتنا بحياة لها ثابتة مستمرة

نعم • كانت اللغة العربية قبل الاسلام لغة شعرية فما قصرت عن اداء شيء مما اريد بها ثم كانت بعد الاسلام لغة رسمية فما اختل حالها عن زمان بساطتها بل وفت سعتها باداء كل ما حدث من مظاهر المدنية • ثم كانت في شباب الدولة العباسية اللغة العلمية فما ابت تحمل شيء من المفردات الاصطلاحية

انما الم بها الانحطاط في خلال القرن الرابع اذ المت الامراض الاجتماعية بالمسلمين وضعف نشر التعليم • فلما شعر بذلك العلماء وضعوا علم البلاغة حفاظا على الاسلوب العربي • ولكن سعيهم لم يات بطائل لان الوقت يومئذ قد فات ولاسباب اخرى يضيق عن بيانها الوقت فذهبت اللغة تهوي في درك الانحطاط • ولكن هل ماتت العربية بعد ؟

لا اخال الحكم بموتها سهلا في حين تفاهم الناس بها ودرسها وحفظ القرآن الذي هو اشهر ما يقرا بها • وقد اقام مسامرنا العلامة على ذلك من البراهين ما يجعلني مقتنعا بهاتين الكلمتين : يقول المثل « ساء سمعا فساء اجابة » ويقول الشيخ ابن خلدون « السمع ابو

الملكات اللسانية » فاقول ان الذي افسد على الامة لسانها هو تبلبل اللغة باختلاف الاقطار وسوء ما تسمعه الاجيال ولا يغرنها الطمع باصلاح اللسان من مجرد قواعد موضوعة او اظهار اواخر الكلم منصوبة ومرفوعة بل الذي يداوي كلم اللغة ويراب ثأها ليس الا التخفيف عنها من المصاب الذي دهاها بانتقاء الكتب الفصيحة للتدريس والتمرين في مختارات لا تنافر فيها ولا تلبيس فان الاسماع متى سلمت من طنين سواقط الكلام جاشت النفوس بما قد ملا سمعها فنطق بمثله الفم وعسى ان يكون في قسم احياء اللغة المندرج بامتياز في هاته الجمعية وفاء بما يعلق عليه من الامنية

ايها الرفقاء الفضلاء !

قد كان سبق لي منذ اربع سنين اني وقفت موقفي هذا ليلة القى بعض المتضلعين من فضلائنا مسامرة في الاثر المشهور « انما المرء باصغريه قلبه ولسانه » قصر بحثه فيها على الشق الاول وهو القلب . وها هو من غريب الاتفاق اني اقف الليلة اثر مسامرة في حياة اللسان العربي وهو الشق الثاني من ذلك الاثر فكان خطابي هذا من الاول بمنزلة العطف في قول المعري لابي تمام حين سمع شعره « ومن بالعراق » بعد ان قال له قبل سنين « انت اشعر من بالشام . ولكن من الاسف ان كان وقوفي في هاتين المرتين لغرض واحد وهو التذكير بفوائد هاته الجمعية والحث على مد يد المساعدة اليها عوض ان يكون اليوم في الثناء على ما ظهر من العناية بها وما حصل من تقدمها

وفي علمكم ان هاته الجمعية هي الجمعية العلمية الوحيدة في مملكتنا فاذا لم يكن من حرصنا على بث العلوم النافعة ما يدفعنا الى انتشالها من جرف السقوط افلا يكون من غيرتنا واتقائنا سوء السمعة ما يبعث الحرارة في جامعتنا حتى تعمل للاتحاد نحو القيام بهذا الواجب ما دام فيها عرق ينبض

تقوم الخلدونية بايصال العلوم الفكرية الى عقول النشاة العلمية علوم كان فيها لسلفنا الاهتمام الذي ابلغهم الى اطلاق وصف اساتذة التمدن المصري عليهم . ايام كانت المدرستان البغدادية والقرطبية قطبي كرة العالم المتمدن ووجهة الراغبين من الامم

تلك ازمان نهضتنا وتقدمنا . ولقد شهد تاريخ المدنية بان انتشار هذه العلوم موذن بطلوع فجر الحضارة لفتح الابصار الى افتراع قمم المجد . فما لنا لا نرى عناية باقامة هاته الجمعية وتوسيع نطاقها ولو معشار ما نسمع من عبارات حب التقدم والارتقاء . السنا الى قليل من العمل احوج منا الى الثرثرة الباطلة وبمبادي السعي اجدر منا بالاماني الكاذبة

وهي الان تقوم ايضا باحياء اللغة العربية فاذا بلغنا المقصود من تحصيل الكفاءة الفكرية والوحدة اللسانية فقد جمعنا جاذبي الفضيلة في قرن اين نحن عن قول الحكيم « لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال » فكيف نرجو الثناء والاعتبار ونحن في تقصير عن هذين السببين فالرجاء منا معاشر الحاضرين ان يسعى كل جهده لتوسيع دائرة

المشتركين ذاكرين ان الانفاق في سبيل الله يعم الانفاق في طرق العلم ولنا في همة اهل الخير ثقة بنجاح هذا السعي وتحقيق الاماني بعون الله تعلى

كان صاحب هذه المسامرة محمد الخضر بن الحسين انشأ في رمضان سنة ١٣٢٥ قصيدة في حياة اللغة العربية في اسلوب رواية خيالية ونشرت في جريدة الزهرة الزاهرة في ذلك الشهر وكأن المسامرين في حياة اللغة العربية ببعض النوادي العلمية ارادوا تفصيل مجملها وتمثيلها للناظرين وقد راينا من المناسب اثباتها هنا اتماما للفائدة ونصها

بصري يسبح في وادي النظر * يتقصى اثرا بعد اثر
وسبيل الرشد ممهود لمن * يتجافى الغمض ما اسطاع السهر
انما الكون سجل رسمت * فيه للافكار آي وعبر
واذا ارخى الدجى استاره * هب سمعي كاشفا عما استتر
لست انسى جنح ليل * خفقت فيه بالاحشاء انفاس الضجر
ع الصواب تأخير العاطفة الى قوله فيه بالاحشاء اهـ مصححه
لج بي التسهيد حتى او شكت * غرة الاصباح ان تغشى السحر
قمت اسعى لتقاضي سلوة * ومطايا السعي مرقاة الوطر
قمت اخطو فجرى حادي الصبا * بحسيس من احاديث السمر
وانثني بي نحو ناد نشبوا * في لحاء ولجاج منتشر
لا تعي من بينهم الاوغى * في مزيج مثل ضغث معتكر
واذا الخصمان لم يهتديا * سنة البحث عن الحق غبر

هسذه طائفة تحدو بما * في لسان العرب من فضل ظهر
وجفته فئة فاهتضموا * شانه والجهل مدعاة الهذر
وتراضوا بعد ذا ان نصبوا * حكما بينهم فيما شجر
فانبرى فيهم خطيبا بصدى * لهجة فصحى وجاش مستقر
لغة اودع في اصدافها * من قوانين الهدى ابهى درر
لغة تهصر من اغصانها * زهر آداب واخلاق غرر
ضاق طوق الحصر عن بسطتها * ولآلي البحر ليست تنحصر
فاض من نهر مبانيها على * فصحاء العرب سيل منهمر
فسرت روح بيان في اللهى * كخصيب الارض يحييه المطر
وابنها المنطيق ان زج به * في مجال القول جلى وبهر
يسبك المعنى متى شاء على * صيغ شان الغني المقتدر
ثم لا يعوزه السير على * وضعها في كل معنى مبتكر
فاسال التاريخ ينبيك بما * انجبت ارض قريش ومضر
من خطيب مصقع او شاعر * مفلق يسحب اذيال الفخر
ضربت في كل شرب ينتحي * من فنون الحسن بالسهم الاغر
ارشفت من شنب الرقة ما * يذهل الاسماع عن نغم الوتر
ولطيف اللفظ يسري في الحشا * ما سرت نظرة ظبي ذي حور
وتذيب القلب رعبا بجزا * لة اسلوب لديها محتكر
والكلام الجزل وضما واقع * موقع السيف اذا السيف خطر

ضل قوم في سلوك في حفظها * سببا اوهن من حبل القمر
واحتست في نطق بعض احرفا * من لغى اخرى فاضناها الخدر
بعض من لم يفقهوا اسرارها * قذفوها بموات مستمر
نفروا عنها لماذا واذا * جف طبع المرء لم تغن النذر
مازكا تفاح لبنان على * حسك السعدان في ذوق مذر
هكذا في نظر الاعشى استوى * زهر روض وهشيم المحتظر
لغة قد عقد الدين لها * ذمة يكلؤها كل البشر
او لم تنسج على منوالها * كلم التنزيل في ارقى سور
ياقومي لوفاء ان من * نكث العهد اتى احدى الكبر
فاقيموا الوجه في احيائها * وتلافوا عقد ما كان انتثر



الخطا والصواب

ص	سطر	الخطا	الصواب
١٠	١	نميه	نسميه
١٩	١٧	سفيرجل	سفيرج
٢٦	٤	مركبا	مركب
٣٢	١٩	وينبهوا	وينبهون
٣٤	٢٠	العي	العمي
٣٨	١٠	وصفها	وضعها
٤٢	٥	التمثل	التمثيل
٤٦	١٥	التهاوني	التهانوى
٤٦	١٩	حالة	حاله



﴿ فهرس مسامرة حياة اللغة العربية ﴾



